

الفصل الثاني : آداب الحوار في السيرة النبوية للحوار الناجح الرافي آداب لا بد منها ، وللمحاور البارع المؤثر آداب يحسن وإحسانه إليه، وحذر ما ينافي ذلك. وما يندرج تحتها تمثل آداب الحوار، ولقد كان النبي يأخذ بذلك الآداب في حواراته مع : كافة الطبقات. ————— المبحث الأول : إقباله على محاوريه — وترك مقاطعته، والبعد، والتشاغل عنه. وهذه الآداب من جملة ما كان يأخذ به النبي في حواراته. وفيما يلي بيان لتلك الآداب بشيء من البسط. والتعالي على المحاور والاستخفاف به من أشد آفات الحوار وأسباب إخفاقه؛ وأزرى به، أشعره ولو من طرف خفي — أنه أعلى منه رتبة ، والتعالي على الآخرين دليل السفة، وآية نقص العقل، يرفع من شأن الآخرين، ولا يترفع أو يتعالى عليهم. وطبع نفساً عن كثير مما يعرض لك فيه صواب القول والرأي؛ (١) وازدرائه، أو إشارة أو تعرضاً؛ فإن فيه ثلاثة محاذير : —————— والإثم على فاعل ذلك الثاني : دلالته على حمق صاحبه ، وسفاهة عقله، وجهله. الثالث : أنه باب من أبواب إثارة الشر، والضرر على نفسه . (٢) المتواضعين للحق وللخلق. وجميع حواراته شاهدة بالتواضع، وترك الترفع. والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، ١ - ما جاء في صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال : « إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله الله فتنطلق به حيث شاءت » (٣) فهذا الفعل من النبي الأئمها غاية في التواضع وخفض الجناح. (٤) ولك أن تتصور ما يدور في ذلك الحوار؛ إذ إن اهتمامات تلك الأمة لا يمكن أن ترتفق بحال إلى أن تتجاوز كلمة قيلت في حقها ، أو سؤالاً ربما أفلقتها وهو لا يحتل كبير شأن. ومع ذلك يتواضع لها هذا النبي الأكرم عليه أفضل الصلاة وأذكي التسليم. يقول ابن حجر الله في تعليقه على الحديث : وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع ؛ لذكره المرأة دون الرجل، وحيث عم بلطف « الإماء» أي أمة كانت ، وبقوله : « حيث شاءت» أي من الأمكنة، والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف، ولو كانت حاجتها خارج المدينة، والتمسست في مساعدتها في تلك الحاجة المساعد على ذلك. وهذا دال على مزيد تواضعه ، وبراءته من جميع أنواع الكبر». فقالت : يا رسول الله إن لي إليك حاجة ، فقال : « يا أم فلان انظري إلى أي السكك شئت، حتى أقضى لك حاجتك فخلا معها في بعض الطرق . (٥) ولسائل أن يقول : ماذا تريد تلك المرأة ؟ وما مدى اهتماماتها؟ وهل عند النبي له فراغ حتى يصرفه في محادثة تلك المرأة التي في عقلها شيء؟ هذه أسئلة قد تدور في ذهن من لا يدرك تلك النفس الواسعة، وذلك القلب الكبير الذي وسع الناس بحلمه وكرمه ، فكان لصغر الأمور وكبارها. وفي ذلك درس لمن يأنف من محادثة تلك الطائفة من الناس من ذوي المدارك الصغيرة؛ ويُحرّم الرحمة والنصر اللذين يستجلبان بسبب أولئك الضعفاء. ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي رفاعة قال : انتهي إلى النبي وهو يخطب قال : فقلت: يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه، لا يدرى ما دينه. ————— قال : فأقبل على رسول الله الله وترك خطبته حتى انتهى إلى، فأتى بكرسي فائم آخرها ». (٦) وذاك التواضع؛ حيث ترك خطبته، فأي تواضع أعظم من ذلك؟! قال النووي الله معلقاً على ذلك : « فيه استحباب تلطف السائل في عبارته ، وخفض جناحه لهم» (٧) فهذا حاله عليه الصلاة والسلام في حواراته؛ فأجادر بأتباعه أن يجعلوا هذا الأدب معلماً لهم في حياتهم، ليفتحوا بذلك قلوب محاوريهم، وليصلوا إلى مقصودهم في هداية الناس وإرشادهم؛ فإن الكبر من أعظم ما يصد عن الحق؛ فالطرف الآخر إذا رأى من محاوره ازدراه أو تعاليًا بالقول أو الفعل — نفر منه ، وكره ما عنده من الحق؛ وكراهية المتكبرين. (٨) وسيأتي مزيد بيان لذلك في مباحث آتية. وحسن الاستماع سواء كان ذلك من المتقدمين أو المتأخرین، ولا تكاد تجد من يتحدث عن آفات الحوار، أو المحادثة إلا وتجد دم من لا يصغي المحاوره أو محدثه، إما بمقاطعته، أو منازعته الحديث، أو بالتشاغل عنه، أو متابعة متحدث آخر، أو إجالة النظر يمنة ويسرة إلى غير ذلك مما ينافي أدب الحديث وال الحوار. ولهذا تباعت الوصايا في الحث على أن يحسن الإنسان الأدب مع محاوره، فإن وأنسه بحديثه . (٩) بل إن المتحدث البارع هو المستمع البارع، وطرف العين، وحضور القلب، وإشراقة الوجه. (١٠) وقال عمرو بن العاص الله : « ثلاثة لاأملهم : ، جليس ما فهم عنِّي ، وثوابي ما سترني ،